تفسير

سورة المُلك

الجزء الأول

الشيخ / هاني حلمي



Manhag.net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى, وصلى الله وسلم وبارك على النبى المصطفى وآله المستكملين الشرف.

ثم أمابعد،،

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همومنا وذهاب غمومنا،

اللـهم ذكرنا منه ما نُسينا، وارزقنا تلاوته أناء الليل وأطراف النـهار على الوجه الذي يرضيك عنا،

اللـهم ارزقنا فهم القرآن وتدبر القرآن والعمل بالقرآن والتحاكم إلى القرآن والاستشفاء بالقرآن، ربنا آتنا من لدنك رحمه وهيء لنا من أمرنا رشدا.

هذا هو الدرس الأول في تدبر سورة الملك

سنتدارس بحول الله تعالى وقوته في هذا اللقاء ما يتيسر من تدبر سورة الملك "سورة تبارك".

سورة تبارك سورة مكية بإتفاق أهل العلم وهي ثلاثون آية، وجاء في فضلها عدة أحاديث من ذلك ما رواه أحمد في مسنده، وأصحاب السنن الأربعة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر الله له، تبارك الذي بيده الملك) [الراوي: أبو هريرة المحدث: المنذري - المصدر: الترغيب والترهيب- الصفحة أو الرقم: 319/2
خلاصة حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]، فهي السورة الشافعة،
وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي والحاكم وصححه الألباني من حديث جابر رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لاينام حتى يقرأ آلم، تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك) [الراوي: جابر بن عبدالله المحدث: السيوطي - المصدر: الجامع الصغير - الصفحة أو الرقم: 6921
خلاصة حكم المحدث: صحيح]، وهذه سنة مهجورة وهذه من أوائل فوائد مدارستنا لهذه السورة الكريمة هذا الحديث قلما يصنعه الناس في واقعهم الآن فقليل من الناس من ينام وقد قرأ سورة السجده وسورة تبارك، ربما هناك بعض الناس من يعلم أن سورة تبارك يقرأها كل يوم أو ليلة لتمنعه من عذاب القبر ولتشفع له ولكن من السنن المهجورة قراءة سورة السجدة وسورة تبارك قبل النوم.

وقد روى الحاكم وقال صحيح الإسناد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال "يؤتى الرجل في قبره فيؤتي من قبل رجليه : فتقول رجلاه: ليس لكم علي ما قِبلي سبيل"أي ليس لكم أن تؤذوا هذا العبد أوتُعذبوه من قبلي" كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول : ليس لكم علي ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك , ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول : ليس لكم علي ما قبلي سبيل قد

كان يقرأ في سورة الملك، فهي المانعه تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر واطيب"

إذا هذه الأحاديث الثلاثة تبين لنا فضل هذه السورة، فهى السورة المانعة لأنـها تمنع من عذاب القبر، وسميت المنجية لأنـها تُنجي قارئها من العذاب، وسميت المجادِلة لأنـها تجادل عن قارئها في القبر، وهى الشافعة كما بينا فهى سورة مباركة سورة تبارك.

هذه السورة لـها أهداف رئيسة ثلاث جاءت هذه السورة لتحققها

- الهدف الأول : إثبات عظمة الله تبارك وتعالى وقدرته على الإحياء والإماتة.
- الهدف الثاني: إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين.
- الهدف الثالث : بيان عاقبة المكذبين والجاحدين للبعث والنشور.

هذه السورة لـها هذه الأهداف الثلاثة فأولا أنـها تثبت عظمة الله تبارك وتعالى لذلك ابتدئت بل سُميت بذاك " سورة تبارك" سورة الملك وكلا الأمرين يؤدي إلى هذا المعنى وهو إثبات عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته ـسبحانه وتعالى- على الإحياء والإماتة وكما بينا في شأن السور المكية واهتمامها بالجانب العقدي لاسيما قضية البعث فهى من أخطر القضايا التي دندن حولـها القرآن المكي لكثرة إنكار الجاحدين للبعث.

الهدف الثاني : جاءت هذه السورة المباركة سورة تبارك لِتُقيم الأدلة وتُقيم البراهين على التوحيد، وعلى وحدانية رب العالمين سبحانه وتعالى، ثم بينت عاقبة من يُكذب بالبعث والنشور فابتُدِئت هذه السورة بـ " تبارك " وسنأخذ الأيات الخمس الأوَّل منها بحول الله تبارك وتعالى .

قال تعالى: {تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيّنّا السّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السّعِيرِ (5)}.

- {تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

يُمجد ربنا تبارك وتعالى نفسه الكريمة، كلمة تبارك من البركة ولها معنيان:

المعنى الأول : النمو والزيادة فشيء مبارك أي شيء يزداد وينمو.

والمعنى الثاني : ثبوت الخير ودوامه فإذا قلنا تبارك يعني تزايد وكثر ودام الخير، فتعاظم وتعالى وكثر خير وإنعامه وعم إحسانه سبحانه وتعالى.

وافتتاح السوره بقوله {تَبَارَكَ} فيه الثناء على الله تبارك وتعالى، وتمجيد الله جل وعلا وهو أهل لذلك سبحانه، ويحتمل أن يكون من باب التبرك باسم الله تبارك وتعالى، وأهل العلم قالوا الكتاب افتتح بالبسملة والباء في البسملة تُفيد الإستعانة وتُفيد المُصاحبة وتُفيد التبرك وهذا محل الشاهد؛ فحين نقول " بسم الله " يعني اصطحب اسم الله عزوجل واستعين باسم الله عزوجل وأتبرك باسم الله فاسم الله في المعنى والدلالة قريب من تبارك، {تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} من هذا الوجه الذي هو وجه التبرك باسم الله سبحانه وتعالى.

- {تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}

يُخبر الله سبحانه وتعالى أنه بيده الملك، أي هو المتصرف في جميع المخلوقات سبحانه وتعالى يُعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويغني من يشاء، ويُفقر

من يشاء، ويحيي ويُميت، ويُعطي ويمنع، يهبُ لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما، كما قال سبحانه وتعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران/26].

وكما قال سبحانه وتعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة/17]، وقال: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس/83].

إذا {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} ماذا نستفيد منها؟،نستفيد من ذلك أن نطلب العز والأشياء ممن يملكها

فأول فائدة كن خير مملوك لخير مالك فحينما تسمع أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بثلاثة أسماء -من هذه الأسماء التسع والتسعين- ليدل على تمام ملكيته سبحانه وتعالى فهو المالك وهو الملك وهو المليك سبحانه وتعالى، فأنت عبد الله وأنتِ أمة الله نحن جميعا مملوكون لله المالك سبحانه وتعالى، ونحن عبيد عند الملك جل جلاله ونحن نعود ويكون لنا -إن أحسنا- مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر سبحانه وتعالى.فالفائدة الأولى كن خير مملوك لخير مالك اطلب العز والأشياء ممن يملكها.

الفائدة الثانية قول الله تبارك وتعالى "الذي بيده" فيه إثبات أن لله يد تليق بجلاله سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه وقد دل الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك قال الله جل وعلا: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة/64]، وقال سبحانه وتعالى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص/75] في كلامه لإبليس، والنبي

ﷺ قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) [الراوي: أبو موسى الأشعري المحدث: الألباني- المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 1871، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، وأجمع السلف على إثبات أن لله تبارك وتعالى يدين سبحانه وتعالى تليق به ليست كأيدي البشر، ولا يشبه سبحانه وتعالى شيء من مخلوقاته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى/11].

إذاً الفائدة الثانية أنه سبحانه تعالى لما قال "بيده" أثبت لنفسه يداً, ولماذا قال بيده الملك ؟ ليؤكد كونه سبحانه وتعالى ملكاً ومالكا وجاءت خاتمة الآية لتؤكد على هذا المعنى وسنرى وجه الإرتباط بين أول الآية وآخرها، الله يقول: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهو القادر على كل شيء، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهل يصح في العقيدة تسمية المولي سبحانه وتعالى بشيء؟ نعم، والدليل الآية التاسعة عشر من سورة الأنعام {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} [الأنعام/19]، فيجوز أن نسمي الله شيء، وفي سورة الملك يقول {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وهو سبحانه وتعالى شيء فهل ينفع أنه على كل شيء قدير فهنا نوع من التعارض فنقول لا تعارض لأن {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} يُسمى عند علماء الأصول من العام المخصوص يعني وهو على كل شيء قدير إلا هو سبحانه وتعالى لأن هذا لا يصح أن يكون على نفسه قديرًا؛ فسبحانه وتعالى متنزه عن مثل ذاك إنما كلمة شيء هنا عامة خصصت بآية سورة الأنعام " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ" وهو على شيء ليس يدخل في ذلك سبحانه وتعالى كونه شيئا.

إذا الفائدة الثالثة هى أنه كلمة شيء من باب كل شيء من باب العام المخصوص الذي خصصته سورة الأنعام " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ".

الفائدة الرابعة وجه الإرتباط ما بين " بيده الملك "، {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ} فلما قال سبحانه وتعالى بيده الملك ثم قال بعد ذلك وهو على كل شيء قدير فهذا يشعر إنما يكون بيده الملك لو ثبت أنه على كل شيء قدير يعنى أن بعض الناس تقول أن العبد له قدرة وربما تكون قدرته أعظم -والعياذ بالله- من قدرة الله تبارك وتعالى وأن العبد لو أراد شيئا كان سواء أراده الله أو لم يرده فلو وقع مُراد العبد ولم يقع مُراد الله فهذا يُشعر أنه سبحانه وتعالى عاجز أو ضعيف تنزه الله سبحانه وتعالى عن ذلك لكنه لما قال " بيده الملك " فهو مالك الملك على الإطلاق، وثنى ذلك بأنه " على كل شيء قدير" نفى هاتين الصفتين عنه فليس سبحانه وتعالى يعجز عن شيء ولا يضعف عن شيء فهو سبحانه وتعالى لما كان ملك الملك وجب أن يكون قادراً على جميع الأشياء فهو مالكها وملكها؛ فالإرتباط ما بين الأمرين لما كان هو مالك الملك سبحانه وتعالى بيده الملك فيجب أن يصير المعنى أنه قادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

هذه الآية نأخذ منها ثلاثة فوائد تربوية:

- أول فائدة كن خير مملوك لخير مالك.
- الثانية إلهج بالثناء عليه تبارك سبحانه وتعالى.
- الثالثة لا تعجز فهو على كل شيء قدير فمهما تصورت من إستحالة أمور فهو على كل شيء قدير فهذا يجعلك أكثر يقينا ويجعلكِ أكثر إنابة إليه سبحانه وتعالى فهو على كل شيء قدير.
- الآية الثانية قال سبحانه: { ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ }

الذي أوجد في الدنيا الحياة والموت فأحيا من شاء وأمات من شاء فهو الواحد القهار {وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا} [النجم/44]، {كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ} [آل

عمران/185] ، {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ} [الزمر/30]، {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ} [الأنبياء/34].

{ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ} السؤال لماذا ابتدأ بالموت؟ فكان من الطبيعي أن يقول الذي خلق الحياة والموت، فلماذا قال الذي خلق الموت والحياة؟ للعلماء عدة تفسيرات لذلك سنقتصر على خمس منها

- المعنى الأول: قالوا قدم الموت لأنه أهيب في النفوس وأفزع فالآية فيها قوة فبدأ بالموت ورهبته وأن المرء لما يسمع سيرة الموت عادةً لها قوة على النفس.
- المعنى الثاني: قالوا ابتدأ بالموت لأنه يُحفز على العمل فكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح هذا ما يجعل الإنسان اكثر حماسة وهمة للعمل، لو قيل له تموت غداً ماذا يصنع فيحفز على العمل؟.
- المعنى الثالث: قالوا هو يريد هنا الله سبحانه وتعالى -والله أعلم بمراده- يريد أنه الموت الذى كان قبل حياة الإنسان "بداية خلقه"، الأصل فى الأشياء عدم الحياة

فالحياة تأتى بعد ذلك لكن الأصل أن كنا عدماً ثم صار لنا وجود صارت لنا حياة، فيقولون هذا الموت من بداية خلقه نطفة وعلقة ومضغة ثم جاءت الحياة بنفخ الروح، الذى خلق الموت فأشار إلى بدء خلق الإنسان، ثم لما تدُب فيه الروح والحياة بعد أربعة أشهر من حمل أمه فيه فيكون المعنى الموت على هذه المرحلة والحياة فى مرحلة نفخ الروح.

- المعنى الرابع: قالوا أراد بالموت : الموت فى الدنيا "الموت الحقيقي فى الدنيا "، وبالحياة " الحياة فى دار الحيوان الآخرة "، و فى الصحيحين عن حديث أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، ثُمَّ قَرَأَ " وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يؤمنون " وأشار بيديه إلى الدنيا) [الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 4730، خلاصة حكم المحدث:[صحيح]].

إذًا المعنى الرابع : أراد بالموت الموت الذى يكون فى الدنيا، والحياة بالحياة التى تكون فى الآخرة ."يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت "

- المعنى الخامس: قالوا ابتدء بالموت لأنه أقرب إلى القهر ويناسب قوله فى خاتمة هذه الآية (وهو العزيزالغفور) سبحانه وتعالى فبدأ بشأن الموت لأنه أقرب إلى معنى قهره سبحانه وتعالى وعزته، فهو لا يغالب سبحانه وتعالى . لا يوجد أحد منا يختار موته متى يكون، ولا حياته متى تكون فهو العزيز سبحانه وتعالى الذى لا يُغالب.

هل الموت نعمة أم مصيبة ؟؟؟

الموت جاء القرآن بوصفه مصيبة فهو مصيبة من جهة أنه إذا نزل بالناس فإنه هادم اللذات، ومفرق الجماعات، ومُيتم البنين والبنات، فهو مصيبة تنزل بالناس سماهُ هكذا مصيبة الموت، لكن هو نعمة من جهةٍ أخرى لو نظرنا إلى الأمر بأنه الفاصل بين حال التكليف وحال المجازاة فهو نعمة لأنه الجسر الذى لابد أن يعبر من خلاله من عالم الدنيا إلى الآخرة؛ فالعبد الصالح بالنسبة له بلاشك هو

نعمة من هذا الوجه والنبي صلي الله عليه وسلم كما روى البيهقي وابن حبان وصححه الألبانى قال: (أكثروا ذكر هادم اللذات (الموت) فإنه لم يذكره أحد فى ضيقٍ من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره فى سعةٍ إلا ضيقها عليه) [الراوي: أنس بن مالك المحدث: الهيثمي - المصدر: مجمع الزوائد - الصفحة أو الرقم: 311/10، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن].

دائماً ذكر الموت يجعل القلوب أقرب لله سبحانه وتعالى فلما يكون الإنسان فى ضيق معين ويتذكر أنها أيام قلائل ويلقى الله عزوجل فهذا يكون سلوى له ويخفف عنه، وعندما تأخذه الدنيا ويعيش الترف والتنعم، وحب الدنيا يتسلل للقلب يكون من أعظم أسباب علاج حب الدنيا الفتاك لقلوب المؤمنين "ذكر الموت"

وقد روى ابن أبى شيبة وعبد الرزاق فى مصنفهما عن ابن سابط قال :

(ذُكر رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فأحسن عليه الثناء بعد وفاته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف ذكره للموت؟ فلم يُذكر ذلك منه قالوا له لا يذكر الموت كثيرا فقال ما هو كما تذكرون، ما هو كما تذكرون).

إذا ذكر الموت وتقديم ذكر الموت له فوائد مهمة إيمانية بالنسبة للمؤمنين.

- {الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}

ليبلوكم تسمى اللام عند علماء النحو لام التعليل أى لأجل أن يختبركم لأجل أن يمتحنكم. الامتحان فى ماذا ؟؟، الامتحان أيكم يعمل أو الامتحان أيكم أكثر عملاً ؟؟

لا .. الامتحان فى الإحسان يمتحننا فى إحسان العمل حتى يكون أكثر إخلاصاً وموافقة لهدي النبي ﷺ ولموجب الشريعة لو قلنا أن الموت والحياة الذين جاءوا فى أول الآية لو قلنا أن الموت يعنى النطفة والعلقة والمضغة والحياة بعد ذلك يكون الاختبار هنا وقع على أن يعلم أنه سبحانه وتعالى نقل هذا العبد من الموت للحياة، وبالتالى هو قادرعلى أن ينقله من الحياة إلى الموت فيكون الاختبار هنا {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} وأحسن الناس عملاً من عمل لما بعد الموت وحذر مجيئ الموت.

لو فسرنا الموت أنه الموت فى الدنيا والحياة التى فى القيامة فالإبتلاء هنا أشد؛ لأن الخوف من الموت فى الدنيا حاصل إنما الأشد منه الخوف من تبعات ما بعد الموت من تبعات الحياة فى القيامة وبالتالي {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}

أحسن الناس عملا من عمل ليوم يلقي الله عز وجل، و فى هذا المعنى العلماء قالوا عدة تفسيرات :

- (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) ذكر عن الفضيل بن عياض أنه قال أيكم أحسن عملا أى أخلصه وأصوبه، وقال الكلمة المشهورة "أن العمل إن كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل"، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل .
- وقالوا الصواب أن يكون على هدي النبي صلى الله عليه وسلم .

أركان قبول العمل :

- الإخلاص - المتابعة

"أخلصه وأصوبه " الإخلاص، والصواب المتابعة للنبىﷺ.

لو العمل خالص وليس على هدي النبي ﷺ لا يقبل و إذا كان العمل على هدي النبي ﷺ لكن العبد غير مخلص غير صادق لم يقبل .

(أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) أيكم أخلص، أيكم أكثر إتباعا للنبيﷺ.

- وقالوا (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) قالوا عقلاً، لأن حسن العمل بتمام العقل فمن كان أتم عقلاً كان أحسن عملاً لأنه سيقاوم هواه؛ لأنه لن يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة؛ لأنه لن يتبع شهواته ونزواته. العقل: يعقله أي يمنعه عن هذه الأمور فيكون أحسن الناس عملاً لأنه أحسن الناس عقلاً .

➢ وجاء عن الحسن البصري أنه قال : أيكم أحسن عملاً أى أيكم أزهد فى الدنيا.

وهذا مناسب جدا لمعنى الموت والحياة الذى ذكرناه فى البداية والإبتلاء بذلك أن أفضل الناس أكثرهم زهداً فى الدنيا، ومعلوم أن النبي ﷺ بيّن أن صلاح هذه الأمة يكون بذلك (صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك أخرها بالبخل والأمل) [الراوي: عبدالله بن عمرو بن العاص المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 3845، خلاصة حكم المحدث: حسن].

فأكثر الناس زهداً فى الدنيا هو أفضل الناس عملاً لأنه يكون دائماً أبداً الآخرة منه على ذلك.

أيكم أحسن عملاً هنا المعنى مهم جداً وخطير جداً إحسان العمل يا جماعة المسلمين. فى أول سورة هود قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}[هود/7]. لماذا ؟؟؟ بين الحكمة {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، وفى أول سورة الكهف {إنّا جَعَلْنا ما عَلى الأرض زينَةً لها لِنَبْلُوَهم أيُّهم أحْسَنُ عَمَلاً} [الكهف/7].

وأحسن الناس عملاً من أحسن إلى الخالق وإلى المخلوق، الإحسان يحتاج العبد أن يدرى معنى الإحسان فى حياته.

الإحسان فى اللغة الإتقان أنك تتقن هذا العمل ابتداءً، الإحسان إحسان العمل لله تبارك وتعالى لا يكون إلا بمراقبة الله لذلك لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه (هذه المراقبة) فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 9، خلاصة حكم المحدث: صحيح].

إما أن تكون عابد لله تبارك وتعالى كأنك ترى ربك على المشاهدة، تتحسس بقلبك قرب ربك فلو هذا المعنى لم يصل إليك فقلبَك ليس بالصفاء والنقاء وقلبك

ليس بالطهر الكافى ليُصطفى لهذه الدرجة، فعلى الاقل نعيش المعنى الثانى أن نعلم أن الله يرانا ومطلع علينا فهذا يكفى في أن يكون الإنسان مجوداً متقناً لعمله، {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء/1].

المعنى الثانى فى "أحسن عملا" الإحسان فى معاملة الخلق، النبي ﷺ جمع هذا الأمر فى الحديث الذى عند الإمام مسلم فى صحيحه: (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه) [الراوي: عبدالله بن عمرو بن العاص المحدث: أحمد شاكر - المصدر: مسند أحمد - الصفحة أو الرقم: 59/11، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح].

ماذا تحب أن يعطيك الناس ؟؟؟ كيف تحب أن يعاملك الناس ؟؟؟ فعاملهم كما تحب أن يعاملوك به فى حسن الخلق و طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل المعروف هكذا.

إذاً إحسان العمل لله تبارك وتعالى لا يتم إلا بالمراقبة، إحسان التعامل مع الناس يكون بالخُلق الحسن وبأن تُعاملهم كما تُحب أن يعاملوك به.

وفضائل الإحسان كثيرة، وأنا لابد أن أضع هذه الحاشية لأنه أعلى درجات الإيمان فلابد من الاهتمام بمسألة أحسن عملاً ليس مطلوب أنك تعمل كم كبير ونظرك إلى الكم لا إلى الكيف، الله لم يقل أكثر قال أحسَن .

إن الإنسان يقرأ آية بتدبر وتدخل الآية إلى قلبه أفضل من أن يقرأ آيات كثيرة ولا يتأثر بها، ممكن نتأمل خمس آيات ونجلس فيها ساعات لكن تترك فى القلب أثرًا أعظم من قراءة خمس ختمات، فأحسن عملا ينهي قضية الكم والكيف وعندما تنظروا فى القرآن تجدوا القرآن جعل ثمرات عظيمة جدا وفضائل كبيرة جدا للإحسان :

- الأمر الأول أن من أحسن للناس أحسن الله إليه، قال الله: {هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ} [الرحمن/60].

- الأمر الثاني أن أهل الإحسان لهم فى الدنيا حسنة {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [النحل/30].
- الأمر الثالث أن رحمة الله قريبة من هؤلاء {إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الأعراف/56].
- الأمر الرابع أن هؤلاء يختصهم الله تبارك وتعالى برؤيته وبدخول جنته {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس/26]، الجنة والزيادة رؤية الله تبارك وتعالى
- الأمر الخامس أن لهم البشارة والكرامة فى الدنيا {وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الحج/37].
- الأمر السادس أن لهم من الرعاية ولهم من النصرة ولهم من التأييد ولهم من صحبة الله تبارك وتعالى الشئ العظيم الكبير لأن الله تبارك وتعالى يختصهم بمعيته الخاصة وإن الله لمع المحسنين {وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت/69]، ويكفى في فضائل الإحسان هذا الأمر السابع.
- الأمر السابع أن الله يحب هؤلاء {وَأَحْسِنُوٓا ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة/195].
- الامر الثامن أن لا يضيع أجرهم {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [التوبة/120].
- الأمر التاسع أن الإحسان من أعظم الأسباب لدخول الجنة {ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ} [الذاريات/16].

والكافر إذا رأى العذاب تمنى أن لو أحسن فى الدنيا {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الزمر/58].

إذا المهم تجويد العمل .. المهم الإحسان فى العمل وهذا ما يوضح المسألة الخاصة بالكم والكيف.

قال سبحانه وتعالى: {وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ} لما ذكر الإبتلاء قال بعدها وهو العزيز أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل فلو أخطأ هذا الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شئ فى أن ينزل به ما ينزل من العقوبة وهو الغفور لمن تاب عن الإساءة الذى أستبدل الإحسان فإذا به مسئ وليس محسنا.

عندما قال سبحانه وتعالى فى البداية {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)}

قال العزيز الغفور وهاتان الصفتان العزة والمغفرة لا تكون إلا بعد قدرة وعلم إنه القادر على هؤلاء وهو عليم بهم لأنه إذا علم بشأنهم وهو قادر عليهم أنزل بهم ما يناسبهم من الثواب والعقاب، لهذا قال {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} ففى ارتباط بين {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} و {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} إنه طالما سبحانه وتعالى العزيز الغفور؛ فهو قادر سبحانه وتعالى ولهذا سيأتي بدلائل قدرته ودلائل علمه؛

- فسيقول بعد ذلك: {ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ}

فقال {ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ} هذا دليل على قدرتة سبحانه وتعالى، وقوله {مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ} دليل على علمه سبحانه وتعالى. {فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ} فإذاً لايكون عزيزاً ولا غفوراً إلا إذا كان عالماً قادر، عليماً قديراً سبحانه وتعالى، وهذا وجهة الإرتباط مابين الأيات الأربع وخواتيمها وعلاقة الأيات بعضها ببعض.

- (وَهُوَ الْعَزِيزُ) صفة من صفات الله تبارك وتعالى اسم من أسمائه الحسنى وصفة من صفاته العليا. والعلماء قالوا إن العزة ثلاث أنواع:

عزة قدر وعزة قهر وعزة إمتناع

عزة قدر: الله ذو قدرٍ شريف الله السيد سبحانه وتعالى.

عزة قهر: وهو القاهر فوق عباده لا يغالب فالعزيز فيها معنى الشرف العظيم، وفيها معنى القوة لا يغالب سبحانه وتعالى.

وعزة الإمتناع: بمعنى أنه يمتنع أن ينـاله أحد بسوء أو نقص يعني منزه سبحانه وتعالى عن مثل ذلك، فهذه من صفات كماله سبحانه وتعالى.

✓ عندما ننظر إلى اسم الله العزيز دائما نعرف أن حظ العبد منه أولاً أن يكون

خائفاً منه سبحانه وتعالى، لأنه ينفذُ مايشاء ويصرف القلوب على مايشاء، القلوب بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف شاء، فحقه أن تتذلل إن الواحد يكون لائذ بجناب الله سبحانه وتعالى معتصم به متبرء من حوله وقوته.

✓ فيكون حظ العبد من اسم الله العزيز أن يكون أذل مايكون إلى ربه سبحانه

وتعالى، وكأن الآية بتهمس في أذني وأذن حضراتكم بأن حق هذه الآية الخضوع والخشوع والذل والإفتقار والإنكسار، سبحانه وتعالى العزيز وعندما نؤمن بهذا الاسم الكبير الكريم؛ فمهما يبتغي العبد العزة لن يجدها إلا عند الله سبحانه وتعالى، فمهما ابتغينا العزة في غيره أزلنا الله، {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر/10].

- وبالتالي عندما يعيش الإنسان اسم الله العزيز لا يركن إلى شئ من الدنيا ولا يجعلها مصدر عزته ولا يتفاخر بها لأنه يعلم حقيقتها لإنـها لاتساوي عنده شئ إنما

التعزز الحقيقي أن أكون عزيزًا عنده، والعزيز لا يعز عنده أحد إلا بالتقوى والإيمان، وطالما أن الشخص عنده هذه الصفه و جُبل علي شئ منها فالشرع أتي بتوجيهها فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة/54].

هذه العزة لا تستخدمها في معاملة البشر إلا مع المعاندين والجاحدين والكافرين، والإنسان المؤمن يزداد بعفوه عزًا كما قال النبي ﷺ (وما زاد الله عبدا بعفوٍ الا عِزا) [الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 2588، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، فهذا سبب العزة في الدنيا إنك تتعزز بالله، إنك تعفو، إنك تتواضع، أن تكون ممن يحققوا أذلة علي المؤمنين لا يكون عندك الكبر، وهذا الفرق ما بين العزة والكِبر إن الكِبر يحتقر الناس يتبطر علي الحق، أما العزة فيها نوع من التعالي على سفاسف الدنيا وهو العزيز سبحانه و تعالي.

الْغَفُور الذي لم يزل يغفر الذنوب و يتوب علي كل من يتوب واسم الله الغفور دائما يسكب في القلب محبة الله تبارك وتعالي، فالإنسان لا يقدر أن يواري وجهه من الله سبحانه و تعالي علي جميل إحسانه وعلي رحمته بعباده، وهو أهل التقوى، وأهل المغفره سبحانه وتعالى، ودائما حين نعيش في رياض اسم الله الغفور تتفتح أبواب الرجاء والواحد مهما بلغت ذنوبه ومهما عظمت إذا تذكر مغفرة الله ورحمته علم أنها أعظم و أن الله من فضله و كرمه وجوده أنهُ يبدل سيئات المذنبين حسنات.

{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} [الفرقان/70].

وبالتالي فالمطلوب اننا نسعي في موجبات الرحمة والمغفرة (اللهم إني أسالك موجبات رحمتك و عزائم مغفرتك) [الراوي: شداد بن أوس المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة ـ الصفحة أو الرقم: 3228، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح].

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}، هذه الآية فيها ثلاث أشياء، الآية مثلما كانت الآية ثلاثة:

- الأولى تقول حَسِّن عملك فإن " حُسن الأعمال نتائج حُسن الأحوال"، فالعمل

يكون حَسَن و يكون علي الوجه الذي يرضي الله لو كانت قلوبنا سليمة. "حُسن الأعمال نتائج حُسن الأحوال وحُسن الأحوال بالتحقق في مقامات الإنزال "

بمعني ان المقامات الإيمانية التي دخلت في القلب مثل مقام الذل والافتقار والإنكسار وكان الاية تقول المفتاح لتكون أحسن الناس عملًا أن تتذلل لربك سبحانه وتعالي وهو العزيز {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} متى ستكون أحسن عملًا؟ كلما ازددت إفتقارًا وإنكسارًا، وحققت معني العبوديه لله تبارك وتعالي، فحظ اسم الله العزيز أن تتذلل له، وحظ اسم الله الغفور أن تتحبب له، وكمال العبودية {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} كمال العبودية في كمال الذل مع تمام الحب لله تبارك وتعالي.

المعادلة هنا في الارتباط ما بين الآيات كيف يكون فهاتين الآيتين " قل خير مملوك لخير مالك إلهج بالثناء علي من تبارك ولا تعجز فانه علي كل شئ قدير وحَسِن عملك فحُسن الأعمال نتائج حُسن الأحوال، وحُسن الأحوال بالتحقق في مقامات الإنزال" أي ما نزل بقلبك من معاني الإيمان ومقامات العبوديه وأعظم ذلك وأركان العبودية في الحب والذل وهي مقتضى {العزيز الغفور} العزيز تقتضي منك

ذل الغفور تقتضي منك حب و استغفار من إساءة العمل يبقي كل واحد مننا لابد وأن يُجَوِد عمله لابد ان يَطلِع الله علي فضل عملك لأن" الله لاينظر الي صورنا و أجسادنا وإنما ينظر الي قلوبنا و أعمالنا "لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ".

- الآية الثالثة: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ}

الذي خلق سبع سماوات طبقة بعد طبقة ولكن من غير أن تتماس إذ بين كل سماء واخري هواء فارغ مسيره 500 عام الذي أوجَدَ سبع سماوات كل واحده فوق الاخري طبقه فوق طبقه كل واحده منفصلة عن الأخرى غير ملتصقة كما دل علي ذلك في سوره الإسراء حيث أنهُ عرج به ﷺ من سماء الي سماء حتي انتهي الي السماء السابعه.

قوله سبع سماوات فيه دليل علي ان السماوات سبع وهو قد بُين في غيرما موضع في القران {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[البقرة/29]، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} [الإسراء/44]، {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}[المؤمنون/86].

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً} هذا دليل القدرة سبع سماوات طباقا سبحان الله إذا ذُكر أمر السماء والطباق هذه تشعر بالدرجات، وتشعر بأن شيئًا أعلى من شئ وهكذا وكأن هذا مرتبط بقوله تعالي {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، مثل السلم أو الدرجات مثل السماوات الطباق فوق بعض وكذلك شأن الناس فالناس بعضهم فوق بعض وليس الناس علي درجة واحدة في الإيمان قال سبحانه: {ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۢ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ}.

قرأ حمزه والكسائي من تفوت من غير الألف بل بحذفها وتشديد الواو وهي قراءه ابن مسعود وأصحابه أما بقيه القُراء فيقرأونها من تفاوت أي من إختلاف ما

ترى في خلق الرحمن من تفاوت لاترى فيه اختلاف أو تضاد أو تنافر إنما متناسق منتظم.

وأول سؤال في تدبر هذه الآية لماذا جاء باسمه الرحمن هنا؟ أجاب طاهرابن عاشور عن ذلك فقال: "التعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلاله لم يقل "ما تري في خلق الله من تفاوت" فيه إشاره إلي أن هذا النظام مما إقتضته رحمةُ الله تجري الأمور فيه علي هذه الحاله المنتظمة من رحمة الله سبحانه وتعالي بعباده، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[الأنعام/97]، {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ} [يونس/5].

تنظر في هذا المعني إختار سبحانه وتعالي اسم الرحمن هنا ليدل علي مبنى الخلق وانتظام الكون مبني ذلك كله كان علي رحمه الله جل وعلي بني الامر كله وانتظمت هذه المخوقات وفق رحمه الله بهم

- {مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ}

انظر إلي السماء تأمل فيها جيدًا هل تري فيها عيبًا؟! هل تري فيها نقصًا؟! هل تري فيها خلالًا؟! هل تري فيها فطور؟! فُطُور جمع فطْر فطور بضم الفاء والطاء، جمع فطْر بفتح الفاء وسكون الطاء، فطْر يعني شَقْ او صَدْع شئ مشقوق شئ متصدع، والمعنى لا يَسعُكَ إلا أن تعترفَ بإنتفاء الفطور في نظام السماوات لأنك تراها ولا تجد فيها انشقاقا ولذلك كان انشقاق السماء وانفطارها علامه على نهاية العالم، {وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا} [النبأ/19]، وكما قال سبحانه وتعالى: {إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ (١)} [الانشقاق/1]، {إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١)} [الانفطار/1]، فهنا يقول ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فُطُور؟ ثم يطلب منك ربك سبحانه وتعالى ويأمرك

- {ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} أى مرَّتين، وهنا يقول كرَّتين ليس المراد بها عدد

الإثنين الذى هو ضعف الواحد كرَّتين، ليس مطلوب مجرد العدد لماذا لم يقل ثم ارجع البصر مرَّتين إنما قال كرَّتين لأنه لا يريد أن يضاعف العدد واحد لا يريد المثنى، إنما التثنية مستخدمه هنا على مطلق التكرير، فإنَ من استعمالات صيغة التثنية في الكلام أن يراد بها التكرار في لغة العرب، ثم ارجع البصر كرَّتين، كرَّتين يعنى مرة ومرة ومرة وإن استُخدم بصيغة المثنى، وهذه من الفوائد اللُغويه أن العرب تستخدم صيغة التثنية وتريد بها التكرار أحيانا.

- {ينقلب إليك البصر خاسئًا}أى يرجع اليك البصر ذِليلاً كالاً تَعِبَنْ صاغرًا،

{خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} أى انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقص، يبحث عن أى شئ من النقص ولا يجد نقصًا فإنك إذا كررت نظرك ولم يرجع إليك بصرك بما طلبت من وجود الخلل والعيب بل يرجع خاسئًا مبعدًا، فالمعنى أنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك إلا خاسئًا مبعدًا لم يرى ما يهوى.

قال القرطبى: "ارْدُد طرْفك وقلّب بصرك في السماء مرة بعد أخرى لن تظفر إلا بالإعياء والتعب ولن تجد في خلق الله عزوجل من عيب أو نقصان".

بلا شك خلق السماوات من أعظم مخلوقات الله تبارك وتعالى

قال تعالى: {لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر/57]، وقال: {وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ } [الأنبياء/32]، وقال: {أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} [ق/6]، وقال: {وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ} [الذاريات/7]، وقال: {وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} [الغاشية/18].

فخلق السماء من أعظم خلق الله سبحانه وتعالى الدال على قدرته سبحانه وتعالى، لذلك قال الله: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ (١٦)} [الأنبياء/16].

فمن الحق الذي خلقهما من أجله؛ أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض ليقيم الأدلة والبراهين. وهذا المعنى الذي أشارنا إليه في أهداف السورة على أنه الواحد الأحد.

اسمعوا إلى أول خطاب في المصحف قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)} [البقرة/21-22].

فإذًا هذه الأية تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى، وتقيم الحجة والبرهان على أنه الواحد الأحد سبحانه وتعالى قال تعالى:{ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)} [النحل/3].

ولما بين في أول سورة الفرقان من يستحق أن يعبد ومن لا يستحق، قال في صفات من يستحق العبادة {ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا (٢)} [الفرقان/2]، إذًا من الحق الذى خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض وما بينهما؛ خلق ذلك ليكون دليل على وحدانيته، وخلق ذلك لتكليف الخلق وابتلائهم أيهم احسن عملا؛ ألم يقل الله تبارك وتعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ} [هود/7].

وهذا وجه الارتباط بين هذه الايات وبين تلك؛ نعم، {وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ} سورة هود، وهنا أيضا جاء {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عَمَلًاۚ} جاء بالذكر خلق السماء، إذا هذه الآية إنما تدعونا إلى أى شئ.فما حظ العبد من هاتين الأيتين الكريمتين{ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ} حظ ذلك التفكر.

ابن القيم يقول: "إن الله يدعو عباده في القران إلى معرفتيه من طريقين: النظر في مفعولاته، والتفكر في آياته".

مفعولات ومخلوقات

تنظر إلى خلق الله تبارك وتعالى، إنك تنظر في خلق الله سبحانه وتعالى من ذلك أن تنظرفي مخلوقات الله، من ذلك {إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ} [البقرة/164]، نأخذ لها واجب إيمانى:

- أريدكَ وأريدكِ اليوم تنظروا إلى السماء نظرة مشتاق، نظرة مشتاق النظر إلى السماء فتشعر بإحساس مختلف، الله فوق سبع سموات.

الإنسان إذا دعا الله توجه بيديه رافعا هاتين اليدين إليه سبحانه وتعالى، وكأنه ينظر إلى أعلى وكأن هاتين اليدين في موضع التذلل، وموضع الإنكسار وهى كأنها تنظر إلى السماء فدائما أبدًا هذا المعنى مهم التفكر

كان جُل عبادة ابو الدرداء التفكر وكان سبب دخوله في الإسلام من التفكر؛ التفكر في خلق الله سبحانه وتعالى

- والأمر الثاني الذي نقوم به الآن التدبر، دائما نقول التفكر والتدبر عليهما مدار

أمر معرفة الله تبارك وتعالى ثم قال سبحانه وتعالى: {وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥)} [تبارك/5].

أى والله لقد جملنا السماء الدنيا، الواو قالوا إما للإستئناف يعنى ولقد تبدأ جملة جديدة، قالوا أن اللام هنا للقسم وقد للتحقيق، الواو للاستئناف واللام للقسم

وقد للتحقيق؛ فالمعنى والله لقد جملنا السماء الدنيا القريبة منكم الذين تشاهدونها زيناها بمصابيح والمقصود بها الكواكب التي تنير الكون كأمثال الشمس، والقمر، والنجوم.

- {وَلَقَدْ زَيَّنَّا} أى جملنا، {ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا} التى تشاهدونها وترونها، {بِمَصَٰبِيحَ} بنجوم على اختلافها في النور والإضاءة فلولا ما فيها من النجوم لكانت سقفا مظلمًا ولكن جعل الله هذه النجوم زينة وجمالًا.

فبين الله سبحانه وتعالى بعد خلق السماوات وخلوها من العيوب أنه زينها بهذه الزينة فصارت في أحسن الخلق. يا سبحان الله وكأن المعنى يا عباد الله: التخليه ثم التحليه سبحان الله.

انظروا إلى المعنى حين تكلم في البداية عن خلق السماوات بدأ بالتخليه قال (هذه السماوات خلقتها طباقا لا ترى فيها اعوجاج، لاترى فيها تضاد، لا ترى فيها تنافر، لا ترى فيها من شقوق، لاترى فيها من فطور انظر، وتأمل، وتفكر ستجد انه ليس ثمَّة عيب في خلق الله عزوجل)، وبعد ذلك قال {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ}.

والله إن أردتُ أن أدلل على أن المنهاج تخلية ثم تحلية لكفتني هاتين الآيتين في ذلك أو هذه الآيات؛ لأنه بدأ بالتخلية نفى العيب، ثم بعد ذلك ذكر الزينة وهي الحلية. تخلية ثم تحلية فصارت في أحسن خلق وأحسن صورة تلك السماء وهكذا خلق الله عز وجل يجمل بالتخلية، ليس فيه عيب، ثم بالتحلية الزينة التي يزينه الله إياها.

قال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا} المقصود بها السماء القريبة ذلك لأنها أقرب السماوات إلى الناس.

{وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ}أي وجعلنا لها فائدة لهذه الكواكب؛ لأنها رجم لأعداء البشرية من الشياطين الذين يسترقون السمع، هنا سبحانه وتعالى قال {وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ} والمقصود الشهب، كما قال سبحانه وتعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)} [الصافات/10]، فهذه المصابيح التي زين الله بها السماء الدنيا لا تزول ولا يُرجم بها وإنما قال: {وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ}، الهاء هنا تعود على الشهب أي وجعلنا هناك شهبًا، وتدخل تحت المصابيح، المصابيح فيها كواكب وهناك الشهب. الشُهُب هذه وكأن المعنى يخص الشهب لأنه لا يدخل في شأن النجوم ليست النجوم ولا الكواكب التي تستخدم لرجم الشياطين.

لكن هناك من كلام بعض أهل العلم الفائت كلام للشوكاني لكن قتادة يقول: "خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر".

زينة للسماء ورجوما للشياطين كما في هذه الآية، وعلامات يُهتدى بها كما في قول الله تبارك وتعالى: {وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } [النحل/16].

- {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥)}

أي وهيئنا، أي أعتدنا للشياطين بعد الإحراق لهم بالشُهب في الدنيا أن سيكونوا في عذاب مستمر في السعير والعياذ بالله تبارك وتعالى.

هذه الآيات الخمس فيها مجموعة من الفوائد بيناها وأحب أن أجملها ونتدارس الآيات التالية في لقاءنا القادم

*فوائد هذه الآيات الخمس :

- أول ذلك: بركة المولى جل وعلا وكثرة خيره .

- **الأمر الثاني:** أن اسم الله جل جلاله كله بركة فمن ذكر الله عن دخوله لمنزله كان سببا لعدم دخول الشيطان، وإذا ذكر عند الطعام لم يشاركه الشيطان، وإذا ذكر الله عند الذبح كانت حلالا. فاسم الله كله بركة.
- **الأمر الثالث:** إثبات اليد لله تبارك وتعالى على الوجه الذي يليق به.
- **الأمر الرابع:** أن الملك الكامل من جميع الوجوه له وحده سبحانه وتعالى.
- **الأمر الخامس:** تعظيم الله سبحانه وتعالى وإجلاله.
- **الأمر السادس:** أن لا تُرفع الحوائج ولا يفزع الإنسان إلا للذي بيده كل شيء الملك سبحانه وتعالى.
- **الأمر السابع:** اليقين بأن الله لا يعجزه شئ مهما كان.
- **الأمر الثامن:** معرفة الحكمة من خلق الإنسان " ليبلوكم ".
- **الأمر التاسع:** أن أفعال الله سبحانه وتعالى كلها صادرة عن الحكمة.
- **الأمر العاشر:** العبرة بحُسن العمل لا بكثرته.
- **الأمر الحادي عشر:** على الإنسان أن يجتهد في تطبيق الإحسان مع الله ومع الخلق.
- **الأمر الثاني عشر:** العبرة بالأعمال القلبية؛ الإخلاص، والخوف، والتوكل، أكثر من أعمال الجوارح من سبق بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بإيمان وقر في القلوب.
- **الأمر الثالث عشر:** أن الموت حق على كل أحد.
- **الأمر الرابع عشر:** أن السماوات سبع بنص القرآن.
- **الأمر الخامس عشر:** عظم قدرة الله وسعة علمه فهو سبحانه وتعالى خلق السماوات لا ترى فيها إختلاف ولا شقوق.

- الأمر السادس عشر: التخلية والتحلية كما بيّنا.
- الأمر السابع عشر: لزوم التفكر والتدبر وعليهما مدار العلم.
- والأمر الثامن عشر: إثبات أسماء الله تبارك وتعالى العزيز والغفور، وأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده جل في علاه { ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ } [الزمر/62].

فهذه ثمانية عشرة فائدة من هذه الآيات الخمس مع ما تحدثنا عنه من معانٍ إيمانية كما قلنا:

- كن خير مملوك لخير مالك.
- والثناء على الله تبارك وتعالى.
- ولا تعجز فإن الله قدير.
- وحَسّن عملك فإن حُسن الأعمال من حُسن الأحوال وحُسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال.
- وتذلل لله وأكثر الناس ذلا أكثرهم حسنا وإحسانا في عمله.
- واستغفر لربك من إساءة العمل.
- وتفكر وتدبر.
- وكما قلنا ابن أمر التربية على التخلية والتحلية.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، وأسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما قلت وبما سمعتموه وأن يجعله الله حجة لنا لا علينا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

